خطبة: التوكل على الله



أحمد بن علوان السهيمي

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 1/10/2020 ميلادي - 12/2/1442 هجري

الزيارات: 41168

التوكل على الله

الخطبة الأولى

الحمدُ لله المتفرد بالملكِ والسلطانِ، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًا عبدَه ورسولَه، أفضلُ من دعا إلى اللهِ حتى وضعَ الحقَ واستبان.

واللهم صلِّ وسلم على عبدِك ورسولِك محمدٍ وعلى آله وصحبِه أجمعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

وبعد:

يا عبادَ الله:

أعلموا رحمكم الله أن التوكلَ على اللهِ فريضةٌ من الفرائضِ، وواجبٌ من الواجباتِ، وأن إفرادَ اللهِ عز وجل به توحيدٌ، وأن التوكلَ على غيرِ اللهِ شركٌ مخرجٌ من الملةِ. والتوكلُ على اللهِ شرطٌ في صحةِ الإسلامِ، وشرطٌ في صحةِ الإيمانِ، فالتوكلُ عبادةٌ عظيمةٌ قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: 23].

وقال تعالى: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: 84]، وقال تعالى: ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [هود: 123].

وحقيقةُ التوكلِ على اللهِ عز وجل أن يعلمَ العبدُ أن هذا الملكوتَ إنما هو بيدِ الله عز وجل يصرفُه كيف يشاءُ، فيفوضُ الأمرَ إليه، ويلتجئُ بقلبِه في تحقيق مطلوبِه وفي الهرب مما يسُوؤه يلتجئُ في ذلك ويعتصمُ باللهِ ويفوضُ أمرَه إلى اللهِ، ثم يعملُ السببَ الذي أمرَ اللهُ به.

فالتوكل مجموع لأمرين:

الأول: الثقةُ باللهِ وأنه مسببُ الأسبابَ ومصرفُ الأمورَ وكلُ شيءٍ بيدِه.

الثاني: الأخذُ بالأسبابِ.

فالتوكلُ في الشرع هو مَن عَمِلَ السببَ، وفوضَ الأمرَ إلى اللهِ عز وجل في الانتفاعِ بالسببِ، وفي حدوثِ المسبَّبِ من ذلك السبب، وفي توفيقِ اللهِ وإعانتِه فإنه لا حولَ ولا قوةَ إلا به عز وجل.

والتوكلُ كما قالَ الإمامُ أحمدُ رحمَهُ اللهَ: عملُ القلبِ، فالتوكلُ عبادةٌ قلبيةٌ محضةٌ؛ ولهذا كان إفرادُ اللهِ عز وجل بها واجبًا، وكان صرفُها لغيرِ اللهِ عز وجل شركًا.

لكنَّ التوكلَ على غيرِ اللهِ قسمان:

أحدهما: التوكلُ في الأمورِ التي لا يقدرُ عليها إلا اللهُ، كالذين يتوكلونَ على الأمواتِ والطواغيتِ في رجاءِ مطالبهم من النصرِ والحفظِ والرزقِ والشفاعةِ، فهذا شركٌ أكبرُ، فإن هذه الأمورَ ونحوها لا يقدرُ عليها إلا اللهُ تبارك وتعالى.

الثاني: التوكلُ في الأسبابِ الظاهرةِ العاديةِ، كمن يتوكلُ على أميرٍ أو سلطانٍ فيما جعلَهُ اللهُ بيدِه من الرزقِ أو دفعِ الأذى ونحو ذلك، فهذا نوعُ شركٍ خفيٍ؛ ولهذا قال طائفةٌ من أهلِ العلمِ: إذا قال: (توكلتُ على اللهِ وعليكَ) فإنَّ هذا شركٌ أصغرُ؛ ولهذا قالوا لا يجوزُ أنْ تقول: (توكلتُ على اللهِ ثُمَّ عليكَ) لأنَّ المخلوقَ ليسَ له نصيبٌ مِنَ التوكلِ.

أمَّا الوكالةُ الجائزةُ فهي توكلُ الإنسانِ في فعلِ مقدورٍ عليه. ولكن ليس له أنْ يتوكلَ عليه وإنْ وكَّلَهُ، بل يتوكلُ على اللهِ، ويعتمدُ عليه في تيسيرِ ما وكلَه فيه كالبيعِ والشراء.

أيها المؤمنونَ:

إنَّ اللهَ حَسْبُ مَنْ توكلَ عليه، قالَ عزَ مِنْ قائلٍ حكيمٍ: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: 3]. فاللهُ حَسْبُ من توكلَ عليه فأَمَرَ اللهُ عبادَهُ بالتوكلِ عليهِ حتى يكونَ كافيهم مِنْ أعدائِهم، وحتى يكونَ عز وجل كافي المؤمنينَ مِنَ المشركينَ قالَ تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ ﴾ [الأنفال: 64]، يعني كافيك اللهُ.

أيها المسلمونَ:

التوكلُ على اللهِ مِنَ العباداتِ العظيمةِ التي تُطلَبُ مِنَ المؤمنِ؛ لهذا نقولُ: إنَّ إحداثَ التوكلِ في القلبِ يرجعُ إلى التأملِ في آثار الربوبيةِ، فكلما كانَ العبدُ أكثرَ تأملًا في ملكوتِ اللهِ: في السماواتِ والأرضِ، والأنفسِ، والآفاقِ، كانَ عِلمُه بأنَّ اللهَ هو ذو الملكوتِ وأنه هو المتصرفُ، وأن نصرَه لعبدِه شيءٌ يسيرٌ جدًا بالنسبةِ إلى ما يُجريه اللهُ جل وعلا في ملكوتِه، فيُعظِّمُ المؤمنُ بهذا التدبرِ اللهَ عز وجل، ويُعظِّمُ التوكلُ عليه، ويُعظِّمُ أمرَه ونهيَه،و يعتقدُ أن اللهَ عز وجل لا يُعجزُه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ سبحانه وتعالى.

وعن ابن عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما قال: (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) قالَها إبراهيمُ عليه السلام حينَ أُلقيَ في النارِ، وقالَها محمدٌ صلى الله عليه وسلم حينَ قالوا له: ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: 173] رواه البخاري والنسائي.

فإذا حققَ العبدُ التوكلَ على اللهِ وحققَهُ في القلبِ فقد حققَ هذا النوعَ من توحيدِ التوكلِ في النفسِ، فإنَّ العبدَ إذا أعظمَ رجاءَهُ في اللهِ، وأكملَ توكلُهُ على اللهِ، فإنَّه وإنْ كادتْهُ السماواتُ والأرضُ ومن فيهنَّ، فإن اللهَ سيجعلُ لهُ مِنْ أمرِه يُسرًا، وسيجعلُ له مِن بينها مخرجًا.

أقولُ قولي هذا، واستغفر اللهَ العظيمَ لي ولكم ولسائرِ المسلمين من كلِ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ الملكِ الوهابِ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، يضعُ موازينَ القسطِ ليومِ التنادِ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدَه ورسولَه، سيدُ الشفعاءِ، وإمامُ البررةِ من العبادِ.

اللهمَ صلِّ وسلم على عبدِك ورسولِك محمدٍ، وعلى آله وصحبِهِ. أما بعدُ:

فيا عبادَ اللهِ:

إنَّ التوكلَ على اللهِ عبادةٌ عظيمةٌ جعلَ اللهُ جزاءَ التوكلِ عليه كفايةُ عبدِه مما أهمَهُ ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: 3].

ومِنْ ثِمَارِ التوكلِ على اللهِ عز وجل حقَ توكلِهِ:

أحدها: دخولُ الجنةِ بغيرِ حسابٍ ولا عذابٍ.

ثانيها: تيسيرُ الرزقِ لعبدِه كما يرزقُ الطيرَ تغدو خماصًا وتروحُ بطانًا.

ثالثها: أنَّه أعظم الأسبابَ في جلب المنافع.

رابعها: أنه أعظم الأسباب في دفع المضار.

خامسها: أنه يورثُ العبدَ طمأنينة وراحةٌ في القلب.

سادسها: رضى العبدُ بما قدرَهُ اللهُ له وأنَّ الخيرَ فيما كُتِبَ له.

سابعها: التوكلُ على اللهِ دليلٌ على قوةِ الإيمانِ.

عباد الله:

إن خيرَ الكلامِ كلامُ اللهِ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ بن عبدِالله، وشرَ الأمورِ محدثاتُها، وكلَ محدثةٍ في دينِ اللهِ بدعةٌ، وكلَ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَ ضلالةٍ في النارِ، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: 56].

اللهم صلِّ وسلم على عبدِك ورسولِك محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واللهم جنبنا الفتنَ ما ظَهَرَ منها وما بطنَ.

رنا اغفرْ لنا ولوالدينا وجميعِ المسلمينَ ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة: 201].

عباد الله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: 90] فاذكرُوا اللهَ العظيمَ يذكرْكم واشكرُوه على نعمِهِ يزدْكم ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: 45].